المُسْتَشْرِقُوْنَ وشُبْهَة تَأَخّر تَدْوِيْن السُّنّة: عرضٌ ونقدٌ

علي مهاما ساموه[1]

الملخص

يهدف البحث إلى: الوقوف على مفهوم المستشرقين وعلاقتهم بعلم السنة ودراساتهم حولها، والتعرف على تدوين السنة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، مع بيان شبهة المستشرقين حول تأخر تدوين السنة، والرد عليها.

وقد خرج الباحث على ضوء البحث أن دراسات المستشرقين حول السنة أخذت في الغالب الطابع السلبي، وأن شبهتهم حول تأخر تدوين السنة باطلة.

الكلمات المفتاحية: المستشرقون، السنة، التدوين، الشبهات

[1] محاضر بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير سونكلا، فرع فطاني ، تايلاند.

Orientalists and the Suspicions in Delay the Recording of Sunnah "Prophet Tradition"

Ali Samoh[1]

Abstract

The research aims to explain the concept of Orientalists, its relationship with the knowledge (Ilm) of the Sunnah, their studies about it and to recognise the Recording of the Sunnah at the time of Prophet S.A.W, with explaining the suspicion of Orientalists about delay of the Recording of the Sunnah, and disproof it.

The researcher find out form the light of research that, Orientalists studies about the Sunnah were mostly negative, and their suspicion about delay of the Recording of the Sunnah is untrue.

Keywords: Orientalists, Sunnah, Recording, Suspicions

[1] Ph.D., Lecturer in College of Islamic Studies, Prince of Songkla University Pattani Campus

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فقد حاول المستشرقون التّشكيك في السنة، وبثّ الشّبهات حولها بشتى الأساليب، فتارةً عن طريق التشكيك في ثبوتها، وتارةً في الطعن في رواتها، وتارةً أخرى في اختلاق الأحاديث الموضوعة، ونسبتها إلى الرسول ﷺ ، إلى غير ذلك من الأساليب.

ولما كان المستشرقون قد أثاروا شبهة تأخّر تدوين السنة إلى سنة مائتين من الهجرة النبوية، وأن هذا التأخير أعطى فرصةً للفرق الكلامية والسياسية أن يزيدوا في الأحاديث ويختلقوها؛ لخدمة أغراضهم، وما يوافق أهواءهم؛ لذا أصبح لزاماً لأجل توضيح الحق، وإزالة الشبهة، والدفاع عن السنة؛ دراسة الشبهة، والرد عليها .

أهمية الموضوع :

تعود أهمية الموضوع إلى أمرين :

1-أن الموضوع له علاقة بالسنة النبوية، ولا يخفى على المسلم مكانتها في الإسلام، فهي الأصل الثاني بعد القرآن الكريم، ومبيّنة وشارحة له؛ قال تعالى : {وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون}.[سورة النحل:44].

2-الإسهام في الدفاع عن السنة النبوية؛ وذلك بالرد على شبهة المستشرقين حول تأخّر تدوين السنة.

ولِمَا سبق؛ رغبت في الكتابة حول موضوع « المستشرقون وشبهة تأخّر تدوين السنة عرض ونقد » وأسال الله التوفيق والسداد .

حدود البحث:

يتركّز البحث في إيضاح شبهة المستشرقين حول تأخّر تدوين السنة، والرد عليها، مع دراسة علاقة المستشرقين بعلم السنة، وعرض موجز لتدوين السنة في عصر النبي ﷺ .

أهداف البحث :

1- الوقوف على مفهوم المستشرقين وعلاقتهم بعلم السنة.

2- التعرف على تدوين السنة في عصر النبي ﷺ .

3-بيان شبهة المستشرقين حول تأخر تدوين السنة، والرد عليها .

منهج البحث :

نظراً لأن البحث متعلق بشبهة المستشرقين حول تأخّر تدوين السنة، والرد عليها؛ فإنه يتطلب استخدام المنهجين الآتيين:

1-المنهج الوصفي الاستقرائي ، ويفيد هذا المنهج في استقراء المصادر والمراجع المتعلقة بشبهة المستشرقين حول تأخر تدوين السنة والرد عليها، ومحاولة الاستفادة منها في تدعيم مطالب ومباحث الدراسة.

2- المنهج الوصفي الاستنباطي، ويستخدم هذا المنهج في استنباط الأدلة الشرعية وأقوال العلماء في الرد على شبهة المستشرقين حول تأخّر تدوين السنة .

بالإضافة إلى لوازم المنهج العلمي من: عزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، وتوثيق النقولات، وعمل ثبت المصادر، وفهرس الموضوعات .

الدراسات السابقة :

تعدّدت الكتابات في بيان موقف المستشرقين من السنة النبوية، ومناقشة شبهاتهم حولها، مثل: شبهة الطعن في أبي هريرة، وشبهة اهتمام المحدثين بنقد سند الحديث، وإهمال

نقد المتن، كما تناولت بعض الدراسات مناهج المستشرقين في دراستهم لعلم الحديث، ومرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث والسنة النبوية، وغيرها من الدراسات.[انظر: دراسة عبدالمنعم العلي بعنوان: دفاع عن أبي هريرة)، ودراسة لقمان السلفي بعنوان (اهتمام المحدثين بنقد الحديث) وغيرها من الدراسات.

وهناك دراسة لها صلة بالبحث الحالي، وهي دراسة الدكتور محمد مصطفى الأعظمي بعنوان: «دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ».

ومن محتوياتها: مكانة السنة النبوية في الإسلام، والنشاط التعليمي في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، والأحاديث التي تمنع الكتابة في العهد النبوي، ودراسة مشاكل الأسانيد، وما يدور حولها من الشكوك والشبهات. وقد أفاد الباحث من الدراسة السابقة في عرض تاريخ تدوين السنة في عصر النبي ﷺ ، ومناقشة الأحاديث الدالة على منع الكتابة في العهد النبوي.

ويمكن القول إن الدراسة الحالية تختلف عن دراسة الأعظمي في كونها دراسة مستقلة عن شبهة المستشرقين حول تأخر تدوين السنة، والرد عليها، مع بيان مفهوم المستشرقين وعلاقتهم بعلم السنة ، وهذا ما لم تتطرق إليه الدراسة السابقة.

خطة البحث :

وأما خطة البحث فهي تتكون من :

المقدمة ، وبينت فيها : أهمية البحث، وحدوده ، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة حوله، وخطة البحث. المبحث الأول : المستشرقون وعلاقتهم بعلم السنة .المبحث الثاني : تدوين السنة في العصر النبوي.المبحث الثالث :الشبهة والرد عليها .الخاتمة .ثبت المراجع . وآخر دعوانا عن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأوّل :

المستشرقون وعلاقتهم بعلم السُّنة

من الجميل قبل الدخول في موضوع علاقة المستشرقين بعلم السنة بيانُ مفهوم الاستشراق والمستشرقين؛ ليكون مدخلاً مناسباً للمباحث اللاحقة.

أولاً: تعريف الاستشراق والمستشرقين:

الاستشراق في اللغة :

منحوتة من مادة (شرق)، والألف والسين والتاء للطلب، والشَّرْق: جهة شروق الشمس [مصطفى: إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، (ص480) (مادة شرق)].ومن ثم فإن الاستشراق هو: طلب الشرق. « وتحت هذا المعنى تدخل مفاهيم عديدة، فزيارة الشرق أو الاهتمام به أو الكتابة عنه أو القراءة حوله أو التخصص فيه أو استعماره كلها تسمى استشراقاً، ولكن المعنى اللغوي عادة لا يسعف بتحديد المعاني نظراً لاتساعه وشموله لمعاني متعددة» [الزيادي: فتح الله، الاستشراق: أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون (ص17)]. ومن هنا فلابد من الوقوف على المعنى الاصطلاحي للاستشراق (محور القضية) .

الاستشراق في الاصطلاح:

اختلف الباحثون كثيرا في المراد من مصطلح الاستشراق، وتعاريفهم له تأخذ اتجاهات متعددة تبعاً لموقفهم منه انظر هذه التعريفات: [غراب، أحمد، رؤية إسلامية للاستشراق، (ص5-7)، فؤاد، عبدالمنعم، من

افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، (ص16-18)، الزيادي: فتح الله، الاستشراق: أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون (ص16)].

فالذي رأى الاستشراق من زاوية معرفية قال: إن الاستشراق: هو الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام[زقزوق: محمود، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (ص24-25)]. ومن رآه من زاوية سياسية قال: إن الاستشراق هو جهود الغربيين لمعرفة الشرق والسيطرة عليه .[الزيادي: فتح الله، الاستشراق: أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون (ص18)].

ويمكن أن يقال إن ما كتبه المستشرقون هو الذي يساعد في إدراك مصطلح الاستشراق. ومن المعروف أن غالب أبحاث المستشرقين ودراساتهم الأكاديمية التركيز على الإسلام وتراثه، بهدف التشويه والدس والتشكيك ؛ وعليه فإن التعريف المختار هو: دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب عن الإسلام في شتى جوانبه بهدف التشويه والتشكيك [فؤاد، عبدالمنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، (ص18) بتصرف يسير] .

والمستشرقون : هم الكُتّاب غير المسلمين من غير العرب الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية .

ومن مميزات التعريف السابق:

-اقتصار مفهوم الاستشراق على الدراسات الأكاديمية التي تمارس نشاطاتها من خلال الجامعات والمؤسسات العلمية.

- وفقا للتعريف السابق؛ فالمستشرق شخص غير مسلم وغير عربي؛ سواء كان كتابياً أو غير كتابي، يهتم بعلوم المسلمين؛ وعليه فيخرج العربي الذي يكتب ضد الإسلام؛ ويمكن أن يقال عنه إنه من تلاميذ المستشرقين وليسوا من جملتهم .

-بناء على التعريف السابق فإنه لم يحدد المنطقة التي تنبع منها الدراسات الاستشراقية (الغرب)، وإنما معياره هو الكتابة ضد الإسلام والمسلمين، وهذا فيه ميزة الشمولية .

- وعلى التعريف فإن دراسات المستشرق عن الإسلام والمسلمين لم يقصد منها تثقيف المسلمين أو تعليمهم، وإنما تشكيكهم في دينهم.

وتجدر الإشارة أن الطابع العدائي الذي سارت عليه أبحاث المستشرقين وكتاباتهم نفّر الغيوريين من المسلمين من مصطلح الاستشراق والمستشرقين؛ « وأصبح ذكر هذا المصطلح يمثل نفوراً شديداً فقَدَ معه المستشرق مهمته التي أسندت إليه؛ ولذلك فإن هذه القضية ساهمت في دفع الغربيين إلى سحب مصطلح الاستشراق و المستشرق من استعمالاتهم، وإدخال مصطلح آخر بديل يختلف عنه شكلاً ويتفق معه مضموناً ... وهذا المصطلح الجديد هو (خبير الشرق الأوسط) الذي هو مرادف للفظ (مستشرق) و(الدراسات الشرق أوسطية) التي هي مرادفة للفظ (استشراق)» [الزيادي: فتح الله، الاستشراق: أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون (ص19)].

ثانياً : علاقة المستشرقين بعلوم السنة .

اعتنى المستشرقون في القرنين الأخيرين — الرابع

عشر الخامس عشر الهجري- بدراسة السنة، وخصّوها بكثير من أبحاثهم سواء بالتحقيق أو بالدراسات الحديثية، ومن أشهر المستشرقين الذين عنوا بدراسات السنة ما يلي:

-شِبْرِنجر، مستشرق نمساوي الأصل بريطاني الجنسية، نشر كتاب الإتقان للسيوطي، والإصابة لابن حجر، كما كتب عدداً من المقالات في السنة النبوية [انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، (2/278-277)].

- المستشرق جُولْدتسِيهر، يُعدّ أستاذ المستشرقين ورائدهم في مجال الدراسات الإسلامية، ومن أشهر مؤلفاته: دراسات محمدية، والعقيدة والشريعة في الإسلام، ومذاهب التفسير الإسلامي [المرجع السابق، (3/42-40)].

-جوزيف شاخْت، مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي، وأحاديث الأحكام، يُعد خليفة المستشرق جولد تسيهر في مجال الدراسات الإسلامية [المرجع السابق، (2/471-469)] .

وبعد عرض أشهر المستشرقين الذين عنوا بدراسات السنة، يرد سؤالاً مهماً ألا وهو : هل دراسات الاستشراق عن السنة وغيرها من الدراسات الإسلامية تتّسم بالنزاهة والموضوعية أم أن دراساتهم خلاف ذلك ؟

والجواب أن يقال: إن الأعمال العلمية الاستشراقية قد اتخذت طابعين رئيسين: طابع سلبي، وطابع إيجابي. أما الطابع السلبي وهو الغالب على تلك الدراسات، فقد تميّزت حركة الاستشراق -في عمومها- بالعصبية، وعدم الإنصاف إلى حدٍ بعيد من جهة، وبالجهل وعدم الفهم أو التجاهل من جهة أخرى، وبخاصة في أوائل نشأتها إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً.

وأما الطابع الإيجابي، فيتمثل في جهود المستشرقين في إحياء التراث الإسلامي، وخدمة العلوم الإسلامية في وقت غفل فيه المسلمون عن تراثهم، ونسوا واجبهم نحوه، مع ما قد يشوب هذه الجهود من أهداف غير مشروعة [انظر: الندوي، تقي الدين، السنة مع المستشرقين والمستغربين، (ص6)] .

وبهذا المعنى يقول الدكتور مصطفى السباعي : « وفي الحق أن كلاً من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجّلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما تطرّقوا إليه من أبحاث، ونحن مِنْ قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم » [السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، (ص31)].

المبحث الثاني :

تدوين السنة في عصر النبوة

قبل الدخول في تفاصيل شبهة المستشرقين حول تأخّر تدوين السنة، والردّ عليها، فإنه من المناسب توضيح مفهوم التدوين، والفرق بينه وبين التصنيف، ثم الحديث عن تدوين السنة في العصر النبوي .

أولاً: مفهوم التدوين والفَرْق بينه وبين التصنيف.

التدوين في اللغة: مشتق من دوّن. يقال: دونّ الشيء إذا جمعه وكتبه، ومنه الديوان أي مجتمع الصُّحف[ابن منظور، محمد، لسان العرب، (4/451) مادة (دون)].

أما التّصنيف ففي اللغة مشتق من صنّف. يقال : صنّف الشيء إذا ميّز بعضه عن بعض، وصنّف الكتاب أي ألّفه [المصدر السابق (7/423) مادة (صنف)].

وعليه؛ فيمكن القول : إن مفهوم تدوين

السنة معناه جَمْع الأحاديث وكتابتها، بخلاف التصنيف ففيه معنى تأليف الكتب المتعلقة بالسنة وتمييزها بترتيبها على الأبواب الفقهية أو بالمسانيد أو بأساليب أخرى.

والغرض من التفريق بين المفهومين أن يُعلم أن التدوين الذي بمعنى كتابته وجمعه قد نشأ مبكراً في العهد النبوي على ما سيأتي بيانه، وهذا في حد ذاته رد على شبهة المستشرقين حول تأخر تدوين السنة . وأما التصنيف بمعنى وضْع الأحاديث على شكل الأبواب الفقهية والمسانيد وغيرها من الأشكال؛ فهذا النوع قد تأخّر قليلاً عن التدوين. يقول ابن حجر رحمه الله : « وأوّل من دوّن الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبدالعزيز، ثم كثر التدوين، ثم كثر التصنيف، وحصل بذلك خير كثير » [ابن حجر، أحمد، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (208/1)].

ثانياً : تدوين السُّنة في عصر النّبوة .

انتشرت الكتابة في عهد النبوة على نطاق واسع مما كانت عليه في الجاهلية، فقد كثر كُتّاب الوحي في زمن الرسول ﷺ حتى بلغ عددهم ما يزيد عن أربعين كاتباً [امتياز، أحمد، دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، (ص168)]. وهناك آثار تدل على أن الصحابة كانوا يكتبون الأحاديث عن النبي ﷺ[انظر دراسة مستفيضة حول كتابة الصحابة للأحاديث في العهد النبوي: الأعظمي، محمد، دراسات في الحديث النبوي، وتاريخ تدوينه، (92/1 وما بعدها)]، ومن ذلك: ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : ((ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب)) [رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب كتابة العلم، برقم (113)] .

كذلك ما ورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: ((كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أنكتب كل شيء ورسول الله ﷺ بَشَر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه. فقال : ((اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق)) [رواه أبوداود في سننه: كتاب العلم، باب في كتابة العلم، برقم (3646)، وأحمد في مسنده (162/2) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (385/1)].

ولكن ترد هنا إشكالية، وهي ما ورد عن النبي ﷺ النهي عن كتابة الحديث؛ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)) [رواه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم برقم (3044)].

أجاب العلماء عن هذا الإشكال بعدة أوجه :

الأول: أن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوف عليه؛ فلا يصلح الاحتجاج به. وهذا غير مُسَلَّم؛ لأن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ثبت في صحيح مسلم مرفوعاً إلى النبي ﷺ .

الثاني: أن النهي عن الكتابة إنما كان في أول الإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن، فلما كثر عدد المسلمين، وعرفوا القرآن، وميزوه من الحديث زال الخوف عنهم، وصار الأمر إلى الجواز.

الثالث: أن النهي في حقِّ من وثق بحفظه، وخيف اتكاله على الكتابة، والإذن في حق من لا يوثق بحفظه كأبي شاه.[كما رواه البخاري في

صحيحه: كتاب العلم، باب كتابة العلم ، برقم (2302)، ومسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها، برقم (1355) بلفظ: ((اكتبوا لأبي شاه))]

الرابع: أنه منسوخ بأحاديث جواز الكتابة. [انظر: أبوزهر، محمد، الحديث والمحدثون (ص123)، الأعظمي، محمد، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، (71/1-76)]

ويظهر مما سبق أن كتابة الأحاديث قد وقعت في عهد النبي ﷺ ، وأن بعض الصحابة كانوا يكتبون كل ما يسمعون من رسول الله ﷺ ، إضافة إلى ذلك فإن الصحابة كانوا يحفظون الأحاديث في صدورهم ﷺ.

المبحث الثالث:

الشبهة والرد عليها.

أولاً: شبهة تأخّر التدوين والغرض منها:

من الشبهات التي أثارها المستشرقون حول السنة: شبهة أن السنة بقيت مائتي سنة لم تدوَّن بشكل صحيح وموثَّق، ثم بعد هذه المدة الطويلة قرّر المحدثون تصنيف الحديث وتدوينه، وبيان صحّته من سقيمه. وهذا الأمر أعطى الفرصة للفِرَق الكلامية والسياسية والفقهاء أن يزيدوا وينقصوا في الأحاديث، ويختلقوها لخدمة أغراضهم، وما يوافق أهواءهم. يقول موير: «إنه لا توجد هناك مجموعة كتابية موثوقة قبل منتصف القرن الثاني ».[العمري، أكرم، موقف الاستشراق من السيرة النبوية، (ص36)].

وقريب من هذا المعنى يقول شاخت : «إن الأحاديث الفقهية من الصعوبة بمكان أن يعتبر واحد منها صحيحاً. وهي قد وضعت للتداول بين الناس من النصف الأول من القرن الثاني وما بعده » [الأعظمي، محمد، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، (72/1)].

وجاء في كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية: «القسم الأعظم من الحديث المتصل بسنة الرسول لم ينشأ إلا بعد قرنين من ظهور الإسلام، ومن هنا تعين اصطناعه كمصدر لعقيدة النبي نفسه في كثير من الاحتياط والحذر»[بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، (ص71)].

وفي دائرة المعارف الإسلامية جاء ما نصه : «وفي عصر متأخر وبعد أن اتخذت العقائد والعبادات والنظم السياسية والاجتماعية وضعاً محدداً في القرنين الثاني والثالث للهجرة نشأ رأي عام معين فيما يتعلق بالثقة بمعظم رواة الحديث وفي مروياتهم » [دائرة المعارف الإسلامية، (336/7)] .

ويهدف المستشرقون من هذه الشبهة إلى أمرين:

1-إضعاف ثقة الناس بحفظ الصحابة ﷺ ، وما استظهروه من الأحاديث في صدورهم .

2- وصم السنة بالاختلاق والوضع على ألسنة المدوّنين الذين لم يجمعوا منها إلا ما يوافق أهواءهم وما يخدم أغراضهم.

وأيدوا ما قالوا بما ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه أراد أن يكتب السنن، فطفق يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: « إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً » [ابن عبدالبر، يوسف، جامع بيان العلم وفضله (64/1)]

ثانياً :الرد على الشبهة :

1-الرد على شبهة تأخر تدوين السنة :

يُرَدّ على هذه الشبهة من عدة أوجه :

الوجه الأول: إن المتتبع لدراسات السنة النبوية يجزم بأن تدوين الحديث وُجد في العصر النبوي وما بعده من عصر الخلافة. وهناك روايات كثيرة بلغت حد التواتر تدل على ذلك [انظر هذه الروايات المتواترة : الأعظمي، محمد، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه (29/1 وما بعدها)]، وقد سبق ذكر حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص ما يدل على ذلك.

الوجه الثاني: أن تدوين الحديث استمر بعد عهد الخلفاء الراشدين، ففي عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز رأى رحمه الله جمع السنن وتدوينها؛ خشية أن يضيع منها شيء أو يلتبس الحق بالباطل، وكان ذلك على رأس المائة الأولى، فكتب إلى علماء الأمصار الإسلامية، وأَمَرهم بجمْع الأحاديث [أبوشهبة، محمد، دفاع عن السنة (ص12)] . ففي صحيح البخاري معلقاً : ((وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء)) [ذكره البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (ص27)] .

الوجه الثالث: وجود المصنفات والجوامع الكثيرة التي أُلّفت قبل سنة مائتين للهجرة، فهناك العديد من المصنفات مات مصنفوها قبل السنة المائتين للهجرة، مثل جامع معمر بن راشد (ت154هـ)، وجامع سفيان الثوري (ت161هـ)، وغيرهما كثير [انظر: سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي (229/1)] .

الوجه الرابع : أن للمحدثين منهجاً واضحاً في أخذ الحيطة من الروايات المكذوبة والضعيفة، فكانوا يدرسون الإسناد، وينقدون المتن، بل يعارضون الكتاب الذي كتبوه من شيوخهم؛ كل ذلك حفاظاً على السنة من الوضع. [الأعظمي، محمد، منهج النقد عند المحدثين (ص70-72)].

قال أبوالزعيزعة – كاتب مروان- : « أُرسل مروان إلى أبي هريرة، فجعل يسأله، وأجلسني خلف السرير، وأنا أكتب حتى إذا كان رأس الحول، دعا به فأقعده من وراء ا لحجاب، فجعل يسأله من ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص ولا قدّم ولا أخرّ »[الذهبي، محمد، سير أعلام النبلاء (432/2-431)].

الوجه الخامس: أن البحث عن الإسناد والتفتيش فيه كان في عهد الصحابة ﷺ حينما وقعت الفتنة سنة 53 هـ، وكان الصحابة يرحلون من بلاد إلى بلاد من أجل التأكد من صحة الحديث [انظر قصص رحلة الصحابة من أجل التأكد من صحة الحديث: الخطيب البغدادي، أبابكر، الرحلة في طلب الحديث (ص109-120)].

وبهذه الأوجه يتبين بطلان ما زعمه المستشرقون حول تأخر تدوين السنة، بل إن كتابة السنة وجمعها كان في عهد النبي ﷺ ومَنْ بعده من الخلفاء الراشدين .

2-الرد على أثر عمر بن الخطاب الذي مفاده : النهي عن كتابة الحديث .

يمكن توضيح إشكالية أثر عمر بن الخطاب الدال على النهي عن كتابة الحديث بالآتي:

-أن خوف عمر ﷺ من إقدامه على كتابة السنة أن ينكب المسلمون على دراسة غير القرآن، فيهملوا كتاب الله ﷻ ، وهذا لا يعني أن عمر ﷺ يرى النهي عن كتابة الحديث بدليل أنه هَمَّ أن يكتب الحديث.

-ثم إن عمر لما أَمِن اللَّبْس، ووثق بالتمييز بين القرآن والسنة أمر الناس بالكتابة، كما ورد عنه

أنه قال : ((قيّدوا العلم بالكتابة)) [ابن عبدالبر، يوسف، جامع بيان العلم وفضله (64/1)]، بل ورد عنه ﷺ أنه كتب شيئا من السنة، فعن أبي عثمان النهدي أنه قال: « كنا مع عتبة، فكتب إليه عمر ﷺ أن النبي ﷺ، قال: ((لا يلبس الحرير في الدنيا إلا لم يلبس منه شيء في الآخرة ...)) [رواه البخاري في صحيحه: كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه ، رقم الحديث (5830)].

الخاتمة

أولا : النتائج :

بعد دراسة مطالب البحث ومباحثه خلص الباحث إلى النتائج الآتية :

1-أن مفهوم الاستشراق هو: دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب عن الإسلام في شتى جوانبه بهدف التشويه والتشكيك .

2-أن لبعض المستشرقين اهتمامات بدراسات حول السنة، وهذه الدراسات في مجملها تأخذ طابعين رئيسين: الطابع الإيجابي، والطابع السلبي، وإن كان يغلب على دراساتهم الطابع السلبي .

3-أن تدوين السنة وجد في عهد النبي ﷺ ومَنْ بعده من الخلفاء الراشدين.

4-هناك فرق بين مفهوم تدوين السنة وتصنيفها، فالأول يعني كتابة السنة وجمعها، والثاني يعني تأليف المصنفات الحديثية وتمييزها عن بعضها بترتيبها على الأبواب الفقيهة أو المسانيد أو بأساليب أخرى.

5-من شبهات المستشرقين حول السنة: شبهة تأخر تدوين السنة إلى سنة مائتي، وأن هذا التأخير أعطى للفرق السياسية والكلامية والفقهاء أن يضعوا الأحاديث وينسبوها إلى الرسول ﷺ لخدمة أغراضهم.

6-بطلان شبهة تأخر تدوين السنة؛ لورود الأحاديث الكثيرة التي تدل على وجود الكتابات في العهد النبوي، وكذا وجود الكتابات في العهد الراشدي، والعهد الأموي، إضافة إلى حرص الصحابة ﷺ على تنقيب الحديث وتفتيشه في عهد مبكر .

ثانيا: توصيات البحث :

1-العناية بدراسة شبهات المستشرقين حول السنة النبوية، وكشف أهدافهم السيئة، مع الرد عليها.

2-دراسة وجمع الحوادث والروايات التي تدل على حفظ الصحابة للأحاديث وقوة استظهارهم لها.

فهرس المصادر

القرآن الكريم .

أحمد: امتياز، دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، نقله إلى العربية الدكتور عبدالمعطي أمين قلعجي، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ-1990م.

الأعظمي: محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، بيروت: المكتب الإسلامي، 1405هـ-1985م.

الأعظمي: محمد مصطفى، منهج النقد عند المحدثين، نشأته وتاريخه، المملكة العربية السعودية: مكتبة الكوثر، ط3، 1410هـ-1990م.

الألباني: محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1408هـ-1988م.

البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الرياض: دار السلام، ط1 1417هـ-1997م.

بروكلمان: كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة وتعريف: د.عبدالحليم النجار، مصر: دار المعارف (د.ت) .

بيانوني: فتح الدين، مرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث والسنة النبوية، ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية، مجلة التجديد، العدد20، السنة10، 1427هـ-2006م.

ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة: دار الريان للتراث، ط1، 1407هـ-1987م

ابن حنبل: أحمد، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ-1999م.

الخطيب البغدادي: أبوبكر، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق صبحي السامرائي، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، (د.ت).

أبوداود: سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، إشراف صالح عبدالعزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط1، محرم 1420هـ-1999م

الدريس: خالد، العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة، الرياض: دار المحدث، 1425هـ.

زقزوق: محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، قطر: كتاب الأمة، 1404هـ.

أبو زهو: الحديث والمحدثون أو عناية الأئمة الإسلامية بالسنة النبوية، الرياض: طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1404هـ-1984م.

الزيادي: محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، سورية، دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1370 من وفاة الرسول ﷺ 2002م.

السباعي: مصطفى، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1405هـ-1985م.

سزكين: فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة فهمي أبوالفضل، القاهرة: 1971م.
السلفي: محمد لقمان، اهتمام المحدثين بنقد الحديث، سنداً ومتناً، ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، الهند: دار الداعي للنشر والتوزيع ، ط2، 1420هـ.
أبوشهبة: محمد محمد، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، الرياض: دار اللواء، ط2، 1407هـ-1987م.
ابن عبدالبر: يوسف بن عمر، جامع بيان العلم وفضله، المدينة المنورة: مكتبة النمنكاني، (د.ت).
العزي: عبدالمنعم العلي، دفاع عن أبي هريرة، بيروت: دار القلم، 1981م.
العقيقي: نجيب، المستشرقون، القاهرة: دار المعارف، ط4، 1980م.
العمري: أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السيرة النبوية، الرياض: مركز الدراسات والإعلام، إشبيليا، 1417هـ-1998م.
غراب: أحمد عبدالحميد، رؤية إسلامية للاستشراق، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، ط2 (د.ت).
فؤاد: عبدالمنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1422هـ-2001م.
مصطفى: إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، تركيا، استانبول: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط2.
ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، لبنان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1418هـ-1997م.
الندوي: تقي الدين، السنة مع المستشرقين والمستغربين، مكة المكرمة: المكتبة الإمدادية، 1402هـ-1982م.
النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، الرياض: دار المغني، ط1، 1419هـ-1998م.